وصف الله تعالى بـ"تبارك"

معناه، وآثاره.

إعداد

د. أيمن بن محمد الحمدان

أستاذ العقيدة المشارك بكلية الملك عبد العزيز الحربية

قسم العلوم الإسلامية

ملخص البحث

هذا البحث يتناول وصف الله تعالى بلفظ (تبارك)، وقد جاء وصفه ﷻ بذلك في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ويهدف البحث إلى أمور منها:

أ- بيان معنى لفظ (تبارك) وكونه وصفا لله ﷻ.

ب- بيان صفة البركة وأنواعها.

ج- ذكر نماذج من آثار بركة الله تعالى.

ومن أبرز النتائج التي انتهى إليها هذا البحث:

١- أن لفظ (تبارك) يوصف به الله تعالى على معان متفقة في غاياتها.

٢- لفظ (تبارك) إذا نسب لله تعالى يدور حول معنيين: معنى الوصف باعتباره وصفًا ذاتيا له سبحانه، ومعنى الفعل باعتبار أن من صفاته سبحانه الفعلية إعطاء الخير والبركة.

مقدمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران آية ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء آية ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [سورة الأحزاب آية ٧٠][1].

أما بعد: فإن من أعظم مقاصد القرآن الكريم الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومن وسائل الدعوة لذلك معرفة الإنسان بربّه تعالى، ومعرفة الله تعالى تكون بالعلم بأسمائه وصفاته وآثاره في خلقه، وقد جاء في القرآن الكريم في عدة آيات بيان ما اتصف الله تعالى به من الصفات، ومن هذه الصفات التي جاء ذكرها في مواضع متنوعة وصف الله تعالى بلفظ "تبارك" الذي يدل على صفات العظمة والمجد والعلو والسعة، كما يدل على إثبات صفة البركة لله تعالى، وأن الوجود كله بما فيه أثر من

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة، أخرجها أبو داوود في سننه كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم الحديث (٢١١٨)، والترمذي في جامعه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، رقم الحديث (١١٠٥)، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، رقم الحديث (٣٢٧٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم الحديث (١٨٩٢)، قال الشيخ الألباني: حديث صحيح. ينظر: صحيح أبي داود ٦/٣٤٤.

آثار بركات الله تعالى في خلقه.

ولفظ "تبارك" يدلّ على صفات ذاتية لله تعالى، كما يدلّ على صفة فعلية.

ووصف الله تعالى بلفظ «تبارك» جاء في مواضع متعددة من القرآن الكريم، واللافت للانتباه أنه جاء في القرآن في تسعة مواضع تكاد تتفق في مناسباتها على اختلافها على مناسبة جامعة، كما قال ابن القيم (المتوفى: ٧٥١هـ) في ذلك: «ولهذا إنما يذكره غالبا مُفتتحا به جلاله وعظمته وكبرياءه» [١].

ومن هذا المنطلق أحببت أن أبحث هذا الموضوع العظيم المتصل بأحد الصفات الإلهية، وهي وصف الله تعالى بما يدل عليه لفظ «تبارك» من الصفات الذاتية والفعلية، وسأتناول بحث هذا اللفظ «تبارك» من جهة معناه، وأقوال العلماء فيه، ودراسة ما يتضمنه هذا الوصف من معاني جليلة، إتماما للجهود والدراسات التي عُنيت بالأسماء والصفات الإلهية.

الدارسات السابقة:

لم أجد بعد البحث وسؤال المختصين من تطرّق لهذا الموضوع بحثا ودراسة مُفردا عن غيره، ولكن جاء الحديث عنه متفرقا في كتب متنوعة، ما بين كتب التفاسير، وشروحات الأحاديث وغيرها من مصنفات أهل العلم.

فأحببت جمعه في بحث يتنظم شتات مسائله، ويُقرّب ما بعُد منه.

غير أن جوانب من هذا الموضوع جاء بحثها مقتضبا فيما يأتي:

١. كتاب التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، في صفحتين

(١) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٤.

معنى «تبارك ولم يذكر فيها إلا بعض أقوال أهل اللغة[1].

٢. رسالة بعنوان: تبارك الله رب العالمين، بحث حول كلمة "تبارك" وما يحصل حولها من مخالفات، للدكتور دوخي بن زيد الحارثي، قدم له معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وجاء بحث المعنى اللغوي لكلمة "تبارك" بذكر بعض أقوال اللغويين، من غير تفصيل، وذكر نقلا عن ابن القيم في أنواع البركة المضافة إلى الله تعالى، وذكر حكم قول "تبارك" لغير الله تعالى، نقلا لفتوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (المتوفى: ١٣٨٩هـ) في ذلك، وذكر حكم التبرك بالأموات، نقلا لفتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (المتوفى ١٤٢٠هـ)، وذكر حكم قول من قال: نبارك لكم، ونحو ذلك من العبارات، وذلك كله في حدود عشر صفحات من صفحات الرسالة المطبوعة، التي لم يذكر فيها الناشر، ولا سنة الطبع.

وهذا مغاير لما كتبته في هذا البحث من جمع ودراسة ما يتعلق بلفظ "تبارك" صفةً لله تعالى.

منهج البحث:

سلكتُ في بحثي هذا المنهج الاستقرائي والتحليلي، وقد جمعتُ مادّة هذا البحث من مظانها على منهج البحث العلمي المعتبر، وعزوتُ الآيات في المتن بذكر اسم السورة ورقم الآية، والتزمتُ كتابتها بالرسم العثماني، وخرجتُ الأحاديث من مصادرها الأصلية، مع بيان حكمها إذا كانت في غير الصحيحين، وعزوتُ الأقوال لأصحابها، وذكرت عند ورود الأعلام

(١) ينظر: ص ٢٨، طبعة مكتبة الرشد.

تاريخ وفياتهم بين قوسين.

أهداف البحث:

١. إيضاح معنى لفظ «تبارك» لغةً، وكونه وصفاً لله تعالى.

٢. بيان صفة البركة لله تعالى وأنواعها.

٣. بيان نماذج من آثار بركة الله تعالى.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، على النحو الأتي:

تمهيد: في معنى «تبارك» لغة.

المبحث الأول: ثبوت صفة تبارك لله تعالى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى لفظ «تبارك» باعتباره وصفا لله تعالى.

المطلب الثاني: الأدلة على ثبوت لفظ «تبارك» لله تعالى من القرآن والسنة النبوية.

المطلب الثالث: اختصاص الله تعالى بهذا الوصف

المبحث الثاني: أنواع البركة المضافة إلى الله تعالى، وآثارها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع البركة المضافة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: نماذج من آثار بركة الله تعالى.

خاتمة.

تمهيد: في معنى «تبارك» لغة.

صيغة «تبارك» على وزن تفاعل، مطاوع بارك يبارك، مأخوذ من البركة، كذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما[1]، فأصل اشتقاقها من لفظ: البركة.

والبركة في اللغة كما قال ابن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ): «الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء»[2].

ومن أصل هذا المعنى قولهم: بَرَك البعير يَبْرُكُ بُروكاً، إذا أناخ على الأرض، وكل شيء ثبت وأقام فقد بَرَكَ، ومن هذا الأصل قيل للثبات في الحرب: البراكاء، ويقال: ابتركوا في الحرب، أي: ثبتوا ولازموا مكانها[3]، وبراكاء كل شيء معظمُه وشدّتُه[4].

ومن هذا الأصل -الثبات على الشيء- في معنى البركة جاء قولهم: باركت على التجارة، أي: واظبت عليها[5].

ومن أصل معنى البركة اللغوي الذي هو الثبات على الشيء يأتي المعنى الاصطلاحي في ثبات الخير وديمومته، ومن ثَمَّ كثرته وزيادته، قال أبو البقاء الكفوي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) في تعريف البركة: «النماء والزيادة

(١) ينظر: تفسير الطبري ٣٩٤/١٧، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٣/٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ١/ ٢٢٧.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ٤/ ١٥٧٤، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي ٢٧/ ٦٢.

(٤) المخصص، لابن سيده ٥١/٥.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي ٢٧/ ٦٩.

حسية كانت أو معنوية، وثبوت الخير الإلهي في الشيء ودوامه [١].

وبما أن الخير من حيث مصدره وثباته وديمومته من الله تعالى، كما جاء في الصحيح، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (البركة من الله)[٢]، خُصّ معنى البركة على وجه العموم بمعنى: ثبوت الخير الإلهي والفيض الرباني[٣].

فيتلخص من معنى البركة أمران:

الأول: النمو والتزايُد.

الثاني: البقاء والدوام[٤].

معنى لفظ «تبارك»:

لفظ «تبارك» على وزن «تفَاعَل» وهو فعل ماض مبني على الفتح، تبَارَكَ يَتبارَكُ تَبارُكاً فهو مُتبارِك.

ومُتبارِك اسم فاعل، واسم المفعول منه: مُتبارَك، فالمصدر منه التَّبارُك.

والتبريك: الدعاء للشخص بالبركة، ويقال: برّكت عليه تبريكا، ويقال: بارك الله لك، وفيك، وعليك.

ويقال: أراد التبارُك بالشيء، أي: التفاؤل والتيّمن به، وجاء للتبارُك، أي: طلب البركة والفوز بها[٥].

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي ص: ٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، رقم الحديث (٥٦٣٩).

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي ١/ ١٨٣.

(٤) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي ٥/ ٤٠٤.

(٥) ينظر: لسان العرب، لابن منظور ١٠/ ٣٩٥، المعجم الوسيط، لمجموعة من المؤلفين ١/ ٥١.

وتبـارك الله، أي: بارك الله، مثل: قَاتَل وتقَاتَل، إلا أن صيغة "فاعَل" يتعدى إلى مفعول، وصيغة "تفَاعَل" لا تتعدى إلى مفعول[1].

ويوضح العلامة محمد الطاهر ابن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ) معنى "تبارك" بأنه في صورة اشتقاقه على وزن "تفَاعل" يأتي على معنيين:

الأول: بمعنـى ظهور الوصف على صاحبـه المتصف به، مثل: تثاقل، أظهر الثقل في العمل، وتعالل، أي: أظهر العلة، وتعاظم: أظهر العظمة.

الثانـي: بمعنى ظهـور الفعل على المتصف به ظهـورا بيّنا، حتى كأن صاحبـه يُظهره، ومنـه: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾[النمـل:٦٣]، أي: ظهـر علوه...ومنه تبارك، أي: ظهرت بركته»[2].

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٠/ ٣٩٥.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٨/ ١٧٠.

المبحث الأول: ثبوت صفة «تبارك» لله تعالى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى لفظ «تبارك» باعتباره وصفا لله تعالى.

بعد أن اتضح المعنى اللغوي لصيغة «تبارك» كان لزاما أن نبحث في معنى وصف الله تعالى بهذا اللفظ، لا سيما أنه قد جاء في القرآن في تسعة مواضع في عدة مناسبات، كما جاء في السنة أيضا في مواضع كثيرة.

وقد اختلف العلماء في تفسير هذا اللفظ «تبارك» منسوبا إلى الله تعالى على أقوال نعرضها فيما يأتي:

الأول: بمعنى العلو، مثل: تعالى، والمتبارِك هو المرتفع[١]، قال أبو منصور الأزهري (المتوفى: ٣٧٠هـ): «ومعنى بركة الله: علوٌّ على كل حال»[٢]، وحكى الأصمعي: تباركت عليكم، من قول عربي صعد رابية، فقال ذلك لأصحابه، أي: تعاليت وارتفعت[٣].

الثاني: بمعنى التقديس، قال أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ): «قال قوم: معنى تبارك: تقدّس، أي: تطهر»[٤].

وينشأ من معنى التقديس معنى العظمة والمجد، ولذلك قال الخليل

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي ٢٧/ ٧٠.

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري ١٠/ ١٣١.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان ٨/ ٧٩.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري ١/ ٥٣.

ابن أحمد (المتوفى: ١٧٠هـ): «وتبارك الله: تمجيد وتجليل»[١].

الثالث: بمعنى كثرة الخير، وثباته ودوامه وزيادته، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى «تبارك»: «تَفَاعَل من البركة»[٢]، وكذلك اختاره ابن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) [٣].

قال الفراء، في معنى تبارك: «هو من البركة، وهو في العربيّة كقولك: تقدّس ربّنا»[٤].

وقال أبو إسحاق الزجاج: «كذلك يقول أهل اللغة»[٥].

ورجح هذا المعنى من حيث اللغة أبو جعفر النحاس، قال: «وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق، من برك الشيء إذا ثبت»[٦].

وقال ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): «وتبارك الله: تقدّس وتنزّه وتعالى وتعاظم، لا تكون هذه الصفة لغيره»[٧].

وهذه المعاني كلها تلتقي ولا تفترق، بل يستلزم بعضها بعضا، بيد أن المعنى اللغوي المشتق من جذر الكلمة يتبادر أصالة، ويستلزم غيره بالتبع، أعني المعنى الثالث الذي هو الأصل في معنى "تبارك" من حيث اللغة، رجوعا إلى أصل معنى البركة المتقدم ذكرها التي هي دوام الخير، وكثرته

(١) العين، للخليل الفراهيدي ٥/ ٣٦٨.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٣٩٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٧/ ٣٩٤.

(٤) معاني القرآن، للفراء ٢/ ٢٥٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٤/ ٥٧.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٥، وذكر هذه الأقوال القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٦٥

(٧) لسان العرب، لابن منظور ١٠/ ٣٩٥.

وزيادته[1]، ويستلزم المعنيين الأولَيْن.

فمن كثرت خيراته وبركاته، ووسعت المخلوقات كلها، فهو حقيق بصفات العلـوّ والتقديـس والعظمة والمجد، قال ابن القيم: «فتباركه سـبحانه وتعالى يجمع هذا كله، دوامَ وجوده، وكثرةَ خيره، ومجدَه، وعلوَّه، وعظمتَه، وتقدّسَه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه»[2].

وكذلـك زاد ابن القيم (المتوفى: ٧٥١هـ) هذا المعنى توضيحا شـافيا كافيا بقوله في شرح معنى كلمة «تبارك»: «وجاءت على بناء السعة والمبالغة كـ «تعالى» و «تعاظم» ونحوهما، فجاء بناء «تبارك» على بناء «تعالى» الذي هـو دال علـى كمال العلو ونهايته، فكذلك «تبـارك» دال على كمال بركته وعظمها وسعتها»[3].

ثـم ذكـر أقوال السـلف في معنى هـذه الكلمة وأنـه في حقيقته من باب اختلاف التنوع، والتعبير عن الشـيء الواحد بطرق مختلفة، ومرجع معنى هذه الكلمة إلى معنى واحد تفرعت منه معان متفقة، فقال: «وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك: تعاظم، وقال آخر: معناه أن تجيء البـركات مـن قِبَلـه، فالبركة كلها منه، وقـال غيره: كثر خيره وإحسـانه إلى خلقه، وقيل: اتسـعت رأفته ورحمته بهم، وقيل: تزايد عن كل شـيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، ومن هنا قيل معناه: تعالى وتعاظم، وقيل:

(١) تنبيـه: قـال الشـيخ محمد خليل هراس في شـرح العقيدة الواسـطية في معنـى زيادة الخير بالنسـبة لله تعالى، وأن هذا المعنى لا يقتضي سـبق النقص، ص ١٣٣: «ولكن لا يلزم من تلك الزيادة سـبق النقص، فـإن المراد تجدُّد الكمـالات الاختيارية التابعة لمشـيئته وقدرته، فإنها تتجدَّد في ذاته على وفق حكمته، فالخلوُّ عنها قبل اقتضاء الحكمة لها لا يعتبرُ نقصًا».

(٢) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٧.

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٨٥.

"تبارك" تقدّس، والقدس الطهارة، وقيل: "تبارك" أي: باسمه يبارك في كل شيء، وقيل: "تبارك" ارتفع، والمبارك المرتفع...وقيل: "تبارك" أي: البركة تكتسب وتنال بذكره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء بكل بركة، وقيل معناه: ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال....وحقيقة اللفظة أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفا وفعلا منه تبارك وتعالى.

وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين وهما متلازمان، لكن الأليق باللفظ معنى الوصف، لا الفعل، فإنه فعل لازم، مثل: تعالى وتقدس وتعاظم»[1].

يريد بقوله: «لكن الأليق باللفظة معنى الوصف، لا الفعل» أي: إن هذا المعنى ثابت لله؛ لأن دلالة الاسم هي الثبوت والدوام؛ خلافا للفعل؛ فإنه يدل على تجدد الوصف وحدوثه، يعني بعد انقطاع أو عدم.

والمعنيان اللذان يدور عليهما تفسير السلف لهذه الكلمة «تبارك» معنى الوصف باعتباره وصفا ذاتيا لله تعالى، فيتضمن المعاني الجليلة السابقة من المجد والعلو والعظمة، قال البغوي: «قال المحققون: معنى هذه الصفة: ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال»[2]، وهذا أُخذ من معنى الثبوت والدوام للبركة، فالله تعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال على وجه الجلال، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[الحديد:٣].

والمعنى الثاني معنى الفعل باعتبار أن الله تعالى من صفاته الفعلية إعطاء الخيرات والبركات، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل:٥٣].

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٨٦.

(٢) تفسير البغوي ٣/ ٢٣٦.

وذكر الإمام المفسر الحسين بن الفضل (المتوفى سنة ٢٨٢هـ) في معنى «تبارك اللّه تعالى» قولا جوّده ابن القيم، قال: «تبارك في ذاته، وبارك من شاء من خلقه»[١]، قال ابن القيم تعقيبا عليه: «وهذا أحسن الأقوال»[٢].

وهذا يشبه ما ذكره الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) في الكشاف من معنى «تبارك اللّه» قال: «وفيه معنيان:

تزايد خيره، وتكاثر.

أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله»[٣].

وقال ابن القيم: «ولا تنافي بين المعنيين، كما قال الحسين بن الفضل»[٤]، بل فيه بيان أن البركة المضافة إلى اللّه تعالى نوعان، بركة ذات، وبركة صفات كما سيأتي.

ونستطيع أن نستخلص مما تقدم من معنى جملة «تبارك اللّه» عبارة وجيزة في معناها، أنها: «غاية العظمة في إفاضة الخير والبركة»[٥].

ولفظة «تبارك اللّه» «تدل على أن بركته تعالى ذاتية ليست مكتسبة، أما المخلوق فما يكون فيه من بركة، فهي بركة موهوبة».

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): «الأظهر في معنى "تبارك" بحسب اللغة التي نزل بها القرآن أنه "تفاعل" من البركة، كما جزم به ابن جرير الطبري، وعليه فمعنى "تبارك": تكاثرت البركات

(١) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٦.

(٢) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٦.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري ٣/ ٢٦٢.

(٤) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٧.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي ص:٩٠.

والخيرات من قِبَله، وذلك يستلزم عظمته، وتقدّسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، لأنَّ من تأتي من قِبَله البركات والخيرات ويدرّ الأرزاق على الناس، هو وحده المتفرد بالعظمة، واستحقاق إخلاص العبادة له»[1].

ويمكن أن نستخلص الفرق بين لفظ «تبارك» ولفظ «بارك» بأن «تبارك» من باب مَجُدَ، والمجد كثرة صفات الجلال والسعة والفضل، و«بارك» من باب أعطى وأنعم، ولما كان المتعدي في ذلك يستلزم اللازم من غير عكس، فسر من فسر من السلف اللفظة بالمتعدي لينتظم المعنيين، فقال: مجيء البركة كلها من عنده، أو البركة كلها من قِبَله»[2].

وبعد بيان أن الله تعالى يوصف بلفظ: "تبارك" على معانيه المتقدمة، ولا يوصف به غيره، وأن ذلك الوصف مختص بالله تعالى، فهل يُشتق منه اسم لله تعالى؟

ذكر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره أنّ بعض العلماء جعل اسم "المبارِك" اسما من أسماء الله تعالى الحسنى، قال: «قد ذكر بعض العلماء في أسمائه الحسنى "المبارِك" وذكرناه أيضا في كتابنا[3]»[4].

وهذا الاسم لم يرد في القرآن ولا في السنة النبوية، وأسماء الله تعالى توقيفية، ولم يذكر أحد من علماء السلف ذلك، ولعل هذا من باب الإخبار عن الله تعالى أنه هو المبارِك، وباب الإخبار أوسع من باب

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ٦/ ٤.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٨٦.

(٣) من كتاب المصنف: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ولم أقف عليه في المطبوع.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٥/٣٦٥.

الأسماء والصفات، وأسماء الله تعالى لا يُتجاوز فيها الكتاب والسنة.

تنبيه:

قال الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ): تبارك الله، أي: بارك الله، مثل: قاتل وتقاتل[١]، وقد غلّطه ابن القيم بقوله: «وهذا غلط عند المحققين، وإنما "تبارك" تفاعل من البركة، وهذا الثناء في حقه تعالى إنما هو لوصف رجع إليه كـ "تعالى" فإنه تفاعل من العلو، ولهذا يقرن بين هذين اللفظين، فيقال: تبارك وتعالى»[٢].

فالجوهري فسر لفظ "تبارك" بالفعل المتعدي مثل: بارك الله، بمعنى أن له مفعولا، أي: أنه صفة فعلية، وابن القيم بين أن المحققين من أهل العلم ذكروا أن "تبارك" من باب الفعل اللازم، الذي يتضمن صفة ذاتية، ولا ريب أن الصفة الذاتية أتم من الصفة الفعلية، وهذا المعنى الذي ذكره ابن القيم أبلغ وأتمّ.

المطلب الثاني: الأدلة على ثبوت لفظ «تبارك» لله تعالى من القرآن والسنة النبوية.

جاء في القرآن ذكر لفظ «تبارك» مضافا إلى الله تعالى في تسع مناسبات في سبع سور، كما جاء في السنة النبوية أيضا في مواضع متعددة.

والذي جاء في القرآن له مناسبات ومقامات اقتضت مجيء هذا الوصف، اجتمعت في مناسبة واحدة، كما قال ابن القيم «ولهذا إنما

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ٤/ ١٥٧٥.

(٢) جلاء الأفهام، لابن القيم، ص: ٣٠٤.

يذكره غالبا مُفتتحا به جلاله وعظمته وكبرياءه»[1].

الموضع الأول: من سورة الأعراف قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

ذكر الله تعالى في هذه الآية تباركه في موضع بيان ربوبيته بدلائل خلقه، من خلق العوالم العلوية من السموات السبع والكواكب والنجوم، التي من أخصها بمنافع البشر الشمس والقمر، وما ينشأ منهما من تعاقب الليل والنهار على نظام بديع لا خلل فيه ولا اضطراب، وكلها مسخرة بقدرة الله تعالى وأمره، وكذلك خلق العوالم السفلية الأرضية، خلق هذه المخلوقات كلها في ستة أيام.

وذكر استواءه على أعظم المخلوقات وهو العرش استواء يليق بجلاله.

فلا جرم أن كان الله تعالى هو الخالق وحده، وكل ما سواه مخلوق، كما أن له الأمر القدري الكوني الذي لا يخرج مخلوق عنه، وله الأمر الشرعي الذي أوجبه على عباده المكلفين، والجامع لذلك هو الملك والتصرف[2].

ولما ذكر الله تعالى عظمته وجلاله بخلقه للمخلوقات العظيمة واستواءه على عرشه، وقدره وشرعه، تهيأ المقام للتذكير بتباركه بوصف اسم الجلالة برب العالمين ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في معنى البيان لاستحقاقه البركة والمجد، لأنه مفيض خيرات الإيجاد والإمداد، ومدبر

(١) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٧.

أحوال الموجودات، بوصف كونه ربّ أنواع المخلوقات فبركة الله الموصوف بها هي مجده ونزاهته وقدسه، وذلك جامع صفات الكمال، ومن ذلك أن له الخلق والأمر»[1].

وفي هذا أيضا تنبيه على ما في هذا العالم من الخيرات والنعم التي توجب لله تعالى الشكر والعبادة على عباده[2].

فاجتمع في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة التبارك لله تعالى الذاتية والفعلية.

الموضع الثاني: من سورة المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٤].

ذكر الله تعالى في هذه الآيات تباركه في شأن ذكر خلق الإنسان وعجيب تكوينه، إذ أخرجه الله تعالى من مهانة العدم إلى شرف الوجود[3]، عبر أطوار ومراحل يمر بها، في كل طور ومرحلة آية من آيات الله تعالى، ابتداءً من خلق آدم من سلالة من طين، وانتهاء إلى نشأة ذريته من نطفة في قرار مكين، تنشأ أطوارا إلى أن تكون خلقا آخر في أحسن تقويم، و«حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي

(١) التحرير والتنوير -بتصرف- ٨/ ١٧٠.

(٢) تفسير المنار، لرشيد محمد رضا ٨/ ٤٠٥.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨/ ٢٢.

الكامل الخلق، قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾»[1]، «أي: استحق التعظيم والثناء»[2].

ومجيء حرف "الفاء" هنا تفريعا على توصيف كيفية خلق هذا الخلق العجيب، «إنشاء الثناء على الله تعالى بأنه أحسن الخالقين، أي: أحسن المنشئين إنشاء، لأنه أنشأ ما لا يستطيع غيره إنشاءه.

ولما كانت دلالة خلق الإنسان على عظم القدرة أسبق إلى اعتبار المعتبر، كان الثناء المعقب به ثناء على بديع قدرة الخالق مشتقا من البركة وهي الزيادة...فمعنى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أنه موصوف بالعظمة في الخير، أي: عظمة ما يقدره من خير للناس وصلاح لهم...لأن «تبارك» لما حذف متعلَّقه، كان عاما فيشمل عظمة الخير في الخلق وفي غيره، وكذلك حذف متعلق ﴿ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ يعم خلق الإنسان وخلق غيره، كالجبال والسماوات»[3].

وهذا معنى نفيس جدا في تعقيب ذكر كيفية خلق الإنسان بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

الموضع الثالث: من سورة الفرقان، وذكر الله تعالى تباركه في ثلاثة مواضع منها، وهي كالتالي:

الأول: في موضع بيان نزول القرآن العظيم للنذارة، إذ افتتح السورة بها فقال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

افتتح الله تعالى سورة الفرقان ردّا على بعض مقالات كفار قريش في

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٦٨.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان ٩/ ١٠٣.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨/ ٢٥.

القرآن بهـذا الافتتاح المبارك الذي يدل على تعاظم خيره بعظيم كمالاته وسـعة أوصـاف جلاله، وهو إخبار عن عظمـة الله تعالى، وكثرة خيراته وتوافـر أفضاله وإنعامـه، التي من أخصها وأعظمهـا الفرقان الذي هو القـرآن العظيم، ولذلك جاء المسـند بأحد المعارف وهو الاسـم الموصول الـذي يومـئ إلى علّة ما قبله، فهو كناية عن تعظيم شـأن القرآن العظيم الـذي فرّق الله به بـين الحق والباطل، وعظيم بركتـه على الناس، فتلك نعمـة توجب الثنـاء على الله تعالى وتعظيمه، كما أثنـى على ذاته بإنزال القرآن في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[الكهف:١][1].

الثاني: في موضع الدفاع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إزاء مطاعن المشركين في رسالته، فذكر الله تعالى تباركه في بيان مشيئته ونفوذ أمره في إعطاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرا مما اقترحه المشركون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعـض متاع الدنيـا، ليقنعهم به على صدق رسـالته، وصحة نبوته، فقال تعالـى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠ ﴾[الفرقان:١٠]، أي: تعاظم وتكاثر خيره «الذي إن شاء جعـل لـك خيرا من ذلك الـذي قالوا، وأفضل من الكنز والبسـتان الذي ذكـروا، أي: أنـه قادر على أن يعطي الرسـول كل ما ذكـروه، ولكنه تعالى يعطـي عباده بحسـب المصالح، أو على وفق المشـيئة، ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله»[2].

الثالث: في موضع بيان عجائب مخلوقاته وإتقان صنعه، الأمر الذي

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٦/ ٩٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية ٤/ ١٩٩، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨/ ٣١٦، وتفسير السعدي، ص: ٥٧٧.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ١٤/ ٤٨٤.

يدعو إلى التذكر والشكر، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾[الفرقان:٦١]، «وافتتح ذلك بإنشاء الثناء على الله بالبركة والخير لما جعله للخلق من المنافع»(١).

الموضع الرابع: من سورة غافر، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[غافر:٦٤].

ذكر الله تعالى في سورة غافر تباركه في موضع بيان نعمه وفضله على الناس، بدءًا من خلق السماوات والأرض لمنافع البشر، وانتهاء إلى خلق الإنسان في أحسن صورة مع رزقه الطيبات، «وفرّع على ما ذكر من بدائع صنعه وجزيل منّه، أن أنشأ الثناء عليه بما يفيد اتصافه بعظيم صفات الكمال، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾»(٢).

الموضع الخامس: من سورة الزخرف، قال الله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف:٨٥].

ذكر الله تعالى تباركه في موضع بيان عظيم وسعة ملكه، مع إحاطة علمه بكل شيء ومن أخص ذلك علم قيام الساعة، ومرجع البشر إليه يوم القيامة، «قصد منه إتباع إنشاء التنزيه بإنشاء الثناء والتمجيد، و«تبارك» خبر مستعمل في إنشاء المدح... وذكر مع التبريك والتعظيم أن له ملك السماوات والأرض، لمناسبة الملك للعظمة وفيض الخير»(٣).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٩/ ٦٤.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٤/ ١٩١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٥/ ٢٦٨.

الموضع السادس: من سورة الرحمن، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن:٧٨].

في خاتمة هذه السورة التي سميت باسم من أسماء الله تعالى «الرحمن» ذكر الله تعالى بعد بيان أنواع الآلاء والنعم على الخلق من الإنس والجن في الدنيا وفي الآخرة، ذكر هذا الثناء العظيم عليه تعالى بصيغة «تبارك» التي المقصود منها المبالغة بوصفه بكمال البركة[١].

وفصّل هذا المعنى القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) في تفسيره تفصيلا شافيا، إذ قال: «وكأنه يريد الاسم الذي افتتح به السورة، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن:١]، افتتح بهذا الاسم، فوصف خلق الإنسان والجن، وخلق السموات والأرض وصنعه، وأنه كل يوم هو في شأن، ووصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها، وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان، ثم قال في آخر السورة: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾، أي: هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والأرض والخلق والخليقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ جليل في ذاته، كريم في أفعاله»[٢].

«والجلال: العظمة، وهو جامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى.

والإكرام: إسداء النعمة والخير، فهو إذن حقيق بالثناء والشكر»[٣].

فظهر بذلك أن بركة الله تعالى ذاتية وفعلية، وإذ كان «اسم الله

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٧/ ٢٧٦، وتفسير السعدي، ص: ٨٣٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٧٤.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٧/ ٢٧٨.

نفسه كله بركة...فالمسمى أعظم بركة وأشد وأولى»[1].

الموضع السابع: من أول سورة الملك، قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١].

افتتحت سورة الملك بما يدل على عظم كمال الله تعالى بما له من الملك الواسع، والقدرة التامة التي لا يشوبها عجز ولا ضعف، وبما له من الخلق العظيم الذي يدل على عظم قدرته وإحاطة علمه بكل شيء.

والمعنى: أن الله تعالى يمجد نفسه الكريمة، وأنه تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه، ذاتا وصفة وفعلا، ويخبر أنه بيده الملك، أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله[2].

وفي هذا الموضع ذكر الله تعالى تباركه مسندا إلى الاسم الموصول، «للإيذان بأن معنى الصلة، مما اشتهر به كما هو غالب أحوال الموصول، فصارت الصلة مغنية عن الاسم العلم لاستوائهما في الاختصاص به، إذ يعلم كل أحد أن الاختصاص بالملك الكامل المطلق ليس إلا لله... وهذا الكلام يجوز أن يكون مرادا به مجرد الإخبار عن عظمة الله تعالى وكماله، ويجوز أن يكون مع ذلك إنشاء ثناء على الله أثناه على نفسه، وتعليما للناس كيف يثنون على الله ويحمدونه»[3].

ما جاء في السنة النبوية من ذلك:

الذي ورد في السنة النبوية من ذلك كثير جدا وفي مواضع متعددة،

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين ٣/ ٤٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ١٧٦، وتفسير أبي السعود ٩/ ٢.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٩/ ٩.

وليس هذا موضع حصر ما ورد من ذلك، ولكن أذكر من ذلك ما يدل على المقصود، وما جاء من ألفاظ نبوية تدل على إثبات صفة "تبارك" لله تعالى، ومن جوامع هذه الألفاظ ما يلي:

١. قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث عدّة: "تبارك وتعالى"[١] على ضمير الغائب.

٢. وفي حديث "تباركت وتعاليت"[٢] على ضمير المخاطب.

٣. وكذلك لفظ: "تبارك اسمك، وتعالى جدك"[٣].

واللافت للنظر كثرة الاقتران بين لفظتيّ: التبارك والعلو نحو: تبارك وتعالى، وتباركت وتعاليت، وذلك أن بين هاتين الكلمتين مناسبة ظاهرة،

(١) لفظ "تبارك وتعالى" جاء في أحاديث يطول حصرها، منها على سبيل المثال ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث (٣٢٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث (٢٨٢٤).

(٢) لفظ "تباركت وتعاليت" جاء في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك)، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم الحديث (٧٧١).

(٣) «تبارك اسمك» كما جاء في دعاء الاستفتاح في الصلاة في صحيح مسلم عن عبدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، رقم الحديث (٣٩٩).

ذلك أن معنى التبارك: السعة والعظمة والارتفاع، وتكاثرت البركات والخيرات، وذلك يستلزم مجده وكثرة صفات الجلال والكمال، وتقدّسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، كما تقدم من معناه[١].

والتعالي تفاعل من العلو، وهو أيضا الارتفاع[٢]، أي: ارتفع مكانا ومنزلة، وترفّع عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأفعاله، ويتضمن كذلك علو الذات، وعلو القدر والقهر، وعلو الصفات، فتضمن ذلك معنى الرفعة والعظمة[٣].

و"تبارك" «جاءت على بناء السعة والمبالغة كـ"تعالى" و"تعاظم" ونحوهما، فجاء بناء "تبارك" على بناء "تعالى" الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك "تبارك" دال على كمال بركته وعظمها وسعتها»[٤]، وكمال العلو ونهايته يتضمن كمال البركات والخيرات، فتناسبت هاتان الكلمتان أعظم تناسب.

المطلب الثالث: اختصاص الله تعالى بهذا الوصف.

لفظ «تبارك» جاء على تفاسير ومعان تقدم ذكرها [٥]، ومن تلك المعاني يأتي الحكم في وصف غير الله تعالى بهذا اللفظ "تبارك"، فإذا انصرف المعنى إلى صفة الله تعالى الذاتية من العلو والعظمة والمجد

(١) انظر ص: ٤٤.

(٢) ينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم ٢/ ٣٣٨، ومختار الصحاح، للرازي ص: ٢١٧.

(٣) ينظر: اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، ص: ١٠٩، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، للشيخ محمد الأمين ١٠/ ٧٠.

(٤) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٨٦.

(٥) انظر ص: ٣٩.

والمعنى الدال على كمال بركته تعالى وعظمها وسعتها، كمعنى التقدّس والتعاظم، وذلك «لاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال، وإنبائها عن نهاية التعظيم»[1]، وهذا لا يكون إلا لله تعالى، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، قال ابن القيم: «الله سبحانه وتعالى أحق أن يكون متباركا، وهذا ثناء يشعر بالعظمة والرفعة والسعة، كما يقال: تعاظم وتعالى ونحوه، فهو دليل على عظمته وكثرة خيره ودوامه واجتماع صفات الكمال فيه، وأن كل نفع في العالم كان ويكون فمن نفعه سبحانه وإحسانه، ويدل هذا الفعل أيضا في حقه على العظمة والجلال وعلو الشأن، ولهذا إنما يذكره غالبا مفتتحا به جلاله وعظمته وكبرياءه»[2].

من أجل ذلك جاءت أقوال أهل العلم ببيان أنه لا يوصف بـ"تبارك" غير الله تعالى، ولا يجوز إطلاقه ولا استعماله في حق غيره تعالى، وعلى ذلك لا يجوز أن يقال: تبارك فلان، قال ابن عطية: «"تَبارَكَ" فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في غيره»[3].

وقال ابن دريد: «و"تبارك" لا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى، ولا يقال: تبارك فلان، في معنى جلّ وعظم، هذه صفة لا تنبغي إلا لله ﷻ»[4].

وقال الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ): «تبارك الله : تقدس وتنزه، صفة خاصة بالله تعالى» [5].

(١) تفسير أبي السعود ٩/ ٢.

(٢) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٤.

(٣) تفسير ابن عطية ٤/ ١٩٩.

(٤) جمهرة اللغة، لابن ريد ١/ ٣٢٥.

(٥) القاموس المحيط، للفيروزأبادي ص: ٩٣٢.

وفي تقرير للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ) لما سُئِل عن قول بعض العامة: تباركت علينا يا فلان أو: يا فلان تباركت علينا؟ قال: «هذا لا يجوز، فهو تعالى المبارِك، والعبد هو المبارَك، وقول ابن عباس: تبارك الله: تعاظم، يريد أنه مثله في الدلالة على المبالغة، والبركة هي دوام الخير وكثرته، ولا خير أكثر وأدوم من خيره سبحانه وتعالى، والخلق يكون في بعضهم شيء ولا يبلغ النهاية، فيقال: مبارك، أو فيه بركة، وشبه ذلك»[(١)].

وإذا كان إطلاق لفظ «تبارك» بمعنى التفاؤل والتيمّن، كما يقال: تبارك علينا فلان، أي: جاء ومعه الخير والبركة، ونحو ذلك من المعاني الصحيحة، فقد رأى بعض أهل العلم جواز ذلك، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ): «وقول العامة: أنت تباركت علينا، لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله ﷻ، وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان إذا كان أهلا لذلك، قال أسيد بن حضير حين نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع منها: "ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر[(٢)] "[(٣)].

وقال الشيخ بكر أبو زيد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) في وصف المخلوق بـ"تبارك": «لا يظهر لي فيها محذور»[(٤)]، أي: من تلك الجهة، لأنه لا يُراد منه وصف "تبارك" الذي لا يكون إلا لله تعالى، ولكن فيما تحتمله اللفظة

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ ١/ ٢٠٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التيمم (٣٣٤)، ومسلم، كتاب الحيض، باب التيمم (٢٨٩)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٥١٥.

(٤) معجم المناهي اللفظية، ص: ٦٠٨.

من معنى تدل عليه اللغة العربية، كما حكى الأصمعي عن بعض الأعراب أنه قال لأصحابه لما صعد رابية: تباركت عليكم، أي: تعاليت وارتفعت[1].

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان ٨/ ٧٩.

المبحث الثاني: أنواع البركة المضافة إلى الله تعالى، وآثارها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع البركة المضافة إلى الله تعالى:

النوع الأول: صفة ذات.

والصفة الذاتية هي الملازمة لذات الله تعالى، التي لم يزل ولا يزال الله تعالى متصفا بها(١).

وصفة البركة باعتبارها صفة ذاتية تضاف إلى الله تعالى إضافة سائر الصفات، كصفة الرحمة والعزة وغيرها، فيقال: بركة الله تعالى، والفعل منها "تبارك" على المعنى المتقدم في هذا اللفظ، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له ﷻ.

والذي يدل عليه أن الله ﷻ يضيف لفظ "تبارك" إلى اسمه، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن:٧٨]، وفي دعاء الاستفتاح عن عمر رضي الله عنه (تبارك اسمك وتعالى جدك)(٢)، «أي كثرت بركة اسمك، إذ وَجَدَ كلَّ خير مَن ذكر اسمك»(٣)، و«المراد أن اسم الله نفسه كله بركة، وإذا كان اسم المسمى بركة فالمسمى أعظم بركة وأشد وأولى»(٤).

فهو سبحانه المبارِك، وغيره هو المبارَك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، فمن بارك الله فيه وعليه فهو

(١) الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، للدكتور محمد التميمي ص: ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، رقم الحديث (٣٩٩).

(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم ٢/ ٣٣٨.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/ ٤٥.

المبارَك[1].

ومعنى وصف اللّه تعالى بالبركة بلفظ "تبارك" أي: «تبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها»[2]، وهذا «ثناء يشعر بالعظمة والرفعة والسعة، كما يقال: تعاظم وتعالى ونحوه، فهو دليل على عظمته وكثرة خيره ودوامه واجتماع صفات الكمال فيه، وأنّ كل نفع في العالم كان ويكون فمن نفعه سبحانه وتعالى وإحسانه، ويدل هذا الفعل أيضا في حقه على العظمة والجلال وعلو الشأن»[3].

وهذا من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن اللّه تعالى.

النوع الثاني: صفة فعل.

والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة اللّه تعالى وقدرته، ويفعلها اللّه تعالى متى شاء، إذا شاء، كيف شاء[4]، ومن صفات اللّه تعالى الفعلية، إعطاء البركة وجعلها حيث شاء، والفعل منها "بارَك".

وهذا الفعل "بارك" تارة يتعدى بنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء:١].

ويتعدى بـ«على» كما في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾[الصافات:١١٣]، أي: «جعله ذا

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٨٥.

(٢) تفسير السعدي، ص: ٢٩١.

(٣) جلاء الأفهام، لابن القيم ص: ٣٠٤.

(٤) الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، للدكتور محمد التميمي ص: ٦٦.

بركة والبركة زيادة الخير في مختلف وجوهه»[1].

ويتعدى بـ"في" كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[فصلت:١٠]، «أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس»[2].

والمفعول منه "مبارَك" وهو ما جعل كذلك، فكان مباركا بجعل الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء:٥٠].

وكل خير في الدنيا والآخرة ودوامه وزيادته فمن آثار بركة الله تعالى وفضله ورحمته، كما جاء في الحديث، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (البركة من الله)[3]، والمعنى أن الله تعالى «بارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته»[4].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف:٩٦]، «والبركات: جمع بركة، والمقصود من الجمع تعددها، باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة»[5].

وسأذكر في المطلب التالي بمشيئة الله تعالى نماذج من آثار بركة الله تعالى استدلالا على صفة البركة لله تعالى الفعلية.

(١) التحرير والتنوير ٢، لابن عاشور٣/ ١٦٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ١٦٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، رقم الحديث (٥٦٣٩).

(٤) تفسير السعدي ص: ٢٩١.

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٩/ ٢١.

المطلب الثاني: نماذج من آثار بركة الله تعالى.

من المتقرر أن كل خير ورحمة في الدنيا والآخرة فهي من آثار بركات الله تعالى، فالخير كله من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦]، والخالق القدير هو الذي أودع في مخلوقاته ما شاء من بركة وخير، إيجادا وإمدادا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف:٩٦]، أي: لآتاهم الله تعالى بالخير من كل وجه[٦]، فبركات الله تعالى كما تكون في العالم السماوي كذلك هي في العالم الأرضي، « وفتح البركات إنزالها على الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر:٢]»[٧].

ومن أعظم أمثلة بركة الله تعالى على خلقه ومن أجلّ مظاهر رحمة الله تعالى إنزال القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾[الرحمن:١-٢]، وجعل الله تعالى القرآن مباركا عظيم الخير والنفع، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[ص:٢٩]، قال البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ): نفّاع[٨]، ولذلك بيّن الله تعالى شأن بركة القرآن في مواضع متعددة من القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [الأنعام:١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾[الأنبياء:٥٠]، أي كثيرُ المنافع ديناً ودنيا[٩].

(٦) تفسير الزمخشري ٢/ ١٣٣.

(٧) تفسير ابن عطية ٢/ ٤٣٢.

(٨) تفسير البيضاوي ٥/ ٢٨.

(٩) تفسير أبي السعود ٣/ ٢٠١.

كما أن الليلة التي ابتدأ الله تعالى نزول القرآن فيها ليلة مباركة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان:٣].

فبالقرآن تنال الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة.

ومن نماذج بركة الله تعالى أيضا أن الله تعالى أودع في الأرض بركاتها وخيراتها قبل خلق البشر عليها، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[فصلت:١٠]، «أي: أنزل البركة والخير فيها، بشق الأنهار وخلق الأشجار والثمار، وأصناف الحيوانات، وكل ما يحتاج إليه من الخيرات، أي: وجعلها مباركةً كثيرة الخيرات، بما خلق فيها من المنافع، فجعل جبالها مبدأ لجريان الأنهار، ومخازن للمعادن، كالذهب والفضة والحديد والنحاس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾، أي: وأوجد في الأرض ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أي: أقوات أهلها وأرزاقهم، من الأنواع المختلفة المناسبة لها على مقدار معين، تقتضيه الحكمة البالغة، أي: قدر لأهلها من الأقوات ما يناسب حال كل إقليم، من مطاعم وملابس ونبات، ليكون بعض الناس محتاجا إلى بعض، فتروج المتاجر بينهم، وتنتقل المحصولات والمنتوجات من بلد إلى آخر، ومن قطر إلى قطر، وفي هذا عمار للأرض، وانتظام أمور العالم»[1].

وكذلك من نماذج البركة التي أودعها الله تعالى في بعض مخلوقاته، البيت الحرام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران:٩٦]، وشملت بركاته البركات الدينية من مضاعفة الثواب، والبركات الدنيوية من جباية ثمرات كل شيء إليه، ومن

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري ٢٥/ ٣١٠.

كونه حرما آمنا تأمن فيه حتى العجماوات والبهائم[1].

وكذلك من آثار بركة الله تعالى في خلقه هذا الماء المبارك النازل من السماء قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾[ق:٩]، «والمبارك: اسم مفعول للذي جعلت فيه البركة، أي: جعل فيه خير كثير»[2].

ولما أهبط الله تعالى نوحا عليه السلام من السفينة بعد الطوفان أفاض الله تعالى عليهم من بركاته فقال: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾[هود:٤٨]، والبركات الخيرات النامية، واحدتها بركة، وهذه البركات شاملة لنسلهم ومعايشهم حتى عُمرت بهم الأرض بعد هلاك أهلها الكفار[3].

وكذلك البركات التي أفاضها الله تعالى على إبراهيم عليه السلام وآله كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[هود:٧٣]، «أي: خيراته النامية المتكاثرة في كل باب، التي من جملتها هبة الأولاد»[4]، ومن فروع هذه البركات على بيت إبراهيم عليه السلام، أن الله تعالى بارك على ذريته خاصة إسماعيل وإسحاق، قال الله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾[الصافات:١١٣]، «أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني

(١) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ٥/ ٤٠٤.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٦/ ٢٩١.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/ ٢١٤، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ١٢/ ٩٠.

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري ١٣/ ١٦٩.

إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق »[1].

وشواهد ذلك كثيرة من آثار بركة الله تعالى، وهي أكثر من أن تحصر، ولكن ذكرت من ذلك ما يتضح به المعنى، وأن البركات التي أحلّها الله تعالى فيمن شاء، ما هي إلا فيض من بركات الله تعالى، التي يهبها لمن يشاء كيف شاء، «فهو المبارِك ومن ألقى عليه بركته فهو المبارَك»[2]، فتبارك الله رب العالمين، وحسبنا في هذا المقام ما قاله ابن القيم وقد أحسن في قوله كعادته: «وهذا بساط وإنما غاية معارف العلماء الدنو من أول حواشيه وأطرافه، وأما ما وراء ذلك فكما قال أعلم الخلق بالله وأقربهم إلى الله وأعظمهم عنده جاها: (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[3]»[4].

(١) تفسير السعدي، ص: ٧٠٦.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٨٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث (٤٨٦).

(٤) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٨٧.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تنال المواهب والمكرمات، وفي نهاية هذا البحث أبين أبرز النتائج:

١. أن لفظ «تبارك» مأخوذ في أصل معنى من معنى البركة، التي يتلخص معناها في أمرين:

- الأول: النمو والتزايُد.
- الثاني: البقاء والدوام.

٢. أن لفظ «تبارك» يوصف به الله تعالى على معان ذكرها أهل العلم متفقة في غايتها، وهي:

- **الأول:** بمعنى العلو.
- **الثاني:** بمعنى التقديس.
- **الثالث:** بمعنى كثرة الخير، وثباته ودوامه وزيادته.

٣. خلاصة معنى «تبارك» منسوبا إلى الله تعالى أنه يدور على معنيين عليهما مدار تفاسير السلف لهذه الكلمة:

- معنى الوصف باعتباره وصفا ذاتيا لله تعالى، فيتضمن المعاني الجليلة من المجد والعلو والعظمة.
- ومعنى الفعل باعتبار أن الله تعالى من صفاته الفعلية إعطاء الخيرات والبركات.

وبهذا الاعتبار لا يجوز إطلاق وصف «تبارك» على غير الله تعالى،

وإما إذا كان إطلاق لفظ «تبارك» بمعنى التفاؤل والتيمّن، كما يقال: تبارك علينا فلان، أي: جاء ومعه الخير والبركة، ونحو ذلك من المعاني الصحيحة، فقد رأى بعض أهل العلم جواز ذلك.

٤. أن الوجود والمخلوقات وما فيها، كل ذلك من آثار بركة الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة ١٤١٥هـ.

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣. اشتقاق أسماء الله، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٦. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ.

٧. بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٩. التبرك المشروع والتبرك الممنوع، المؤلف: د. علي بن نفيع العلياني، الناشر: دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٠. التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ.
١٢. تفسير المنار، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
١٣. تهذيب اللغة، المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٥. التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٦. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١٨. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، المؤلف: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

١٩. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٠. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢١. الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٢. سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ.

٢٣. شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٢٤. الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٢-١٤٢٨هـ.

٢٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٢٦. صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٧. صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨. الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، المؤلف: د. محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة

الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي الصديقي، العظيم آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٣٠. كتاب العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣١. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٣٢. فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان القنَّوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ.

٣٣. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ.

٣٤. القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٣٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الكفوي،

المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٧. الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء، الناشر: دار المنهاج، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٣٨. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٩. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤٠. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٤. المخصص، المؤلف: علي بن إسماعيل النحوي اللغوي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

٤٣. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.

٤٤. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ.

٤٥. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

٤٦. المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.

٤٧. معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

٤٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٤٩. معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

٥٠. معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.